Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالحصون الشم التي تبيدها جيوش سيف الدولة فتزول ويبيد أهلها :

تمـل الحصـون الشم طـول نـزالنـا فتلقـي إلينـا أهلهـا وتـزول

وتختلط عنده فكرة الزمن بكل شيء ، حتى الفيء الذي يجيء للمحاربين الذين يخوضون المعارك ولا يهابون الموت تجيء لهم الأموال ويقسمون كل شيء حتى الدولة تدول بينهم . وتأمل معي المشهد الأخير المتمثل في البيتين الخامس والستين والسادس والستين في آخر القصيدة :

فـإن تكـن الـدولات قسمـاً فانهـا لمـن ورد المـوت الـزؤام تـدول

لمـن هـون الـدنيـا عـلى النفس ساعة وللبيض في هـام الكمـاة صليـل

وانظر كيف تدوي فكرة الزمن مع الدول التي تدول والفرسان الذين يردون الحروب ويستخفون بالموت الزؤام ، ومع صليل السيوف في رءوس الكماة ... وتأمل هذا التعبير الخاطف « لمن هون الدنيا على النفس ساعة » كل شيء يجيء لهؤلاء المال والدول والجاه . لأن هؤلاء الفرسان خاضوا الحروب وصبروا على المكروه ولم يميلوا إلى الدنيا وينكصوا عن الحرب وتوهب لهم الحياة . وينالوا المجد والجاه وتدول لهم الدول . ولكننا في الجانب الآخر ، نرى غروب الحياة بالنسبة للأعداء وضياع الجاه والمال والدول . وهنا نكون في صميم فكرة الزمن . إذن لم أجانب الصواب وأنا أسمي هذه القصيدة « لوحة الزمن » ولعل المتنبي لم يبعد عن الفن وهو يربط بين هذه المشاهد كلها في تلك اللوحة الرائعة لأن تيار الزمن يسري فيها كالكهرباء ويربط بينها برباط واحد ، يتجلى في ذلك الشجى العميق الذي نحسه في كل مشاهدها .. في المشهد الأول الذي يتغنى فيه غناء حزيناً ، ويصور آماله النائية البعيدة التي لم تتحقق . والمشهد الثاني الذي يصف فيه المعارك والخيل التي براها الركض . والجيوش الزاحفة في السهول . المصعدة إلى الجبال ، العابرة نهري الفرات وقباقب . ولقد تحولت فكرة الزمن عند أبي الطيب إلى مصطلح جمالي أخرجه من الرتابة التي كان يمكن أن تطبع القصيدة نتيجة هذا الإحساس بالتعادل الذي أشرت إليه . لست أنكر جاذبية الشخصية التي يتمتع بها المتنبي والتي تتحول في قصائده إلى « إشعاع فني » فقد عمل هذا الإشعاع الفني عمله إلى جانب فكرة الزمن ، إلى جانب بناء القصيدة على طريقة اللوحة . والتشكيل الفني بالكلمات ، إلى جانب طاقته التعبيرية والفنية وقدرته اللغوية . ولكن كل هذه الأدوات الجمالية صهرت وتلاشت في فكرة الزمن التي بدأت القصيدة بها وانتهت .